

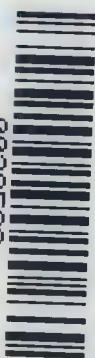
رايات الإسلام

٧

في المِغْرِبِ



Bibliotheca Alexandrina



0029592



دار المعارف

رايات الإسلام



في المَغْرِبِ

بقلم : وصفي آل وصفي

الطبعة الثانية



دارالمغارب

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

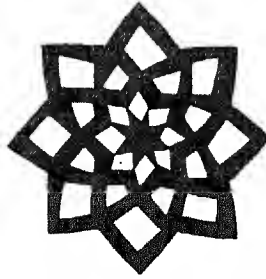
راياتُ الإسلام

بدأ القرنُ السَّابِعُ المِئَلادىُّ والعربُ فى شبه الجزيرة العربِيةِ
ضِئاعَفٌ ومُتفرِّقُونَ ، يَطغى عَلَيْهِمُ الفُرسُ بالعراقِ - فى
الشَّرْقِ .. والزُّومُ بالشَّامِ - فى الشَّمالِ ..
وَبُعْثُ الرُّسُولِ ﷺ فغَيرَ الإسلامِ حِياةَ العربِ تَغِيراً تامًّا ..
أمدَّهُمُ بِقُوَّةٍ حَقَّقَتِ المُعْجِزاتِ ، وجمَعَتْهُمُ - فى ظِلِّ
راياتِهِ - طُمانِينةٌ نَفْسيَّةٌ تُنبِئُ من سَماحتِهِ .. وحماسَةٌ بِطُولِيةٌ تَبْعُثُها
فيهِمُ أَهدافُهُ العَظِيمةُ ..

وَكانَتْ « مَكَّةُ » المَدِينةَ الأوَلَى فى شبه الجزيرة التى تَمْتَدُّ
حِوالى ألفِ كِيلومِترٍ مِنَ الشَّرْقِ إلى الغربِ .. وما يَزِيدُ على
ذلكَ مِنَ الجَنوبِ إلى الشَّمالِ ، لَكِنَّ هِجرةَ الرُّسُولِ ﷺ نَقَلَتْ
مَقَرَّ القِيادةِ الإِسلامِيةِ إلى « يَثْرِبَ » التى أَصْبَحَتْ تُعَرَفُ بِاسمِ
« المَدِينة » ..

وُتُوفِيَ الرَّسُولُ فِي الْعَامِ الْحَادِي عَشَرَ الْهِجْرِيِّ - سَنَةِ ٦٣٢
الْمِيلَادِيَّةِ - فَتَتَابَعَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بِالْمَدِينَةِ .. ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ مَقَرُّ
الْخِلَافَةِ أَنْ انْتَقَلَ إِلَى « دِمَشْقَ » عَامَ ٦٦١ الْمِيلَادِيِّ ، وَإِلَى
« بَغْدَادَ » عَامَ ٧٦٢ ..

وَمِنْ الْمَدِينَةِ ، وَدِمَشْقَ ، وَبَغْدَادَ ، وَمِنْ « الْقَاهِرَةِ » ..
وَسَائِرِ الْمُدُنِ الْإِسْلَامِيَّةِ .. انْطَلَقَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ تُبَشِّرُ
الشُّعُوبَ بِالْتَّحْرِيرِ وَتُزَفُّ إِلَيْهَا الْعَدْلَ وَالْحُرِّيَّةَ .. وَتَصْحَبُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي مَعَارِكِ خَالِدَةٍ مَا تَزَالُ أَخْبَارُهَا تُرَوَّى فَتُثِيرُ الْإِعْجَابَ
لَدَى الْقَادَةِ وَالْجُنُودِ وَتَغْرِسُ الْعِزَّةَ فِي نَفُوسِ النَّاشِئَةِ ..



راياتُ الإسلام

في المغرب

١

فَتَحَتْ مَدِينَةُ «الإِسْكَندَرِيَّة» أَبْوَابَهَا لِلْعَرَبِ عَامَ ٦٤٢
الْمِيلَادِيِّ ، وَدَخَلَتْهَا رَايَاتُ الْإِسْلَامِ خَفَافَةً عَالِيَةً .. تَحْمِلُ
لَأَهْلِهَا الْمَسِيحِيِّينَ بَشَائِرَ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ وَالْحُرِّيَّةِ الدِّينِيَّةِ ..
وَنَظَرَ فَاتِحُ مِصْرَ ، «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ» ، إِلَى الْغَرْبِ ..
فَوَجَدَ الرُّومَ يَحْتَشِدُونَ فِي إِقْلِيمِ «بَرْقَةَ» الْمُجَاوِرِ لِلْحُدُودِ
الْمِصْرِيَّةِ . وَكَانَ سُكَّانُ بَرْقَةَ ، وَسَائِرِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ ، مِنْ
«الْبَرْبَرِ» الَّذِينَ هَاجَرَ أَجْدَادُهُمْ مِنْ «فِلَسْطِينَ» إِلَى شَمَالِ
إِفْرِيقِيَّةٍ وَانْتَشَرُوا فِي جِبَالِهِ وَوَحَايِهِ . وَخَضَعَ الْبَرْبَرُ لِلْفِينِيقِيِّينَ ..
سُكَّانِ «لُبْنَانَ» الْقُدَامَى .. الَّذِينَ أَنْشَأُوا مَدِينَةَ «قُرْطَاجَةَ»
بِالْقُرْبِ مِنْ «تُونِسَ» فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ ، ثُمَّ تَغَلَّبَ
الرُّومَانُ عَلَى الْفِينِيقِيِّينَ فِي مَتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي قَبْلَ الْمِيلَادِ ،

وَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ فِي السَّيْطَرَةِ عَلَى شَمَالِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَاسْتِغْلَالِ أَهْلِهِ ..
رَأَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنَّ احْتِشَادَ الرُّومَانِ فِي بَرْقَةِ خَطَرٌ
يُهِدُّ اسْتِقْرَارَ الْعَرَبِ بِمِصْرَ ، فَقَرَّرَ أَنْ يُسْرِعَ بِالْقَضَاءِ عَلَى ذَلِكَ
الْخَطَرِ ، وَتَحْرِيرِ الْبَرَبِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمِ الرُّومَانِ
وَاسْتِغْلَالِهِمْ . وَغَادَرَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةَ عَلَى رَأْسِ عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْ
جُنُودِهِ ، لَمْ يَتَجَاوَزْ بِضْعَةَ آلَافٍ ، وَدَخَلَ بَرْقَةَ فَلَمْ يَلْقَ مُقَاوِمَةً
تُذَكِّرُ ..

كَانَتْ وَلَايَةُ بَرْقَةِ تَقَعُ وَسَطَ أَقَالِيمَ خَاضِعَةٍ كُلِّهَا لِلرُّومِ ،
لِذَلِكَ تَهَاوَنُوا فِي تَحْصِينِهَا .. فَلَمْ يَجِدْ حَاكِمُهَا مَقَرًّا مِنْ مُصَالِحَةِ
الْعَرَبِ وَالتَّعَهُدِ لَهُمْ بِحَمْلِ الْجَزِيَّةِ إِلَى مِصْرَ !
وَمِنْ بَرْقَةِ سَارَ عَمْرُو قَاصِدًا مَدِينَةَ « طَرَابُلُسَ » فَلَمْ تُصَادِفْهُ
عَقَبَةٌ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا الَّذِي يَبْلُغُ أَلْفًا وَمِائَتَيْ كِيلُو مِترٍ ،
وَأَمَامَ الْمَدِينَةِ عَسْكَرُ الْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ لِيُقَاتَلَ حَامِيَتَهَا الرُّومِيَّةَ الَّتِي
تَحْصَنَتْ خَلْفَ الْأَسْوَارِ ..

حَاصِرَ الْعَرَبِ طَرَابُلُسَ . الْمُطِلَّةَ عَلَى الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ ،
مِنْ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْجَنُوبِ . وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ السُّنُّنُ اللَّازِمَةُ

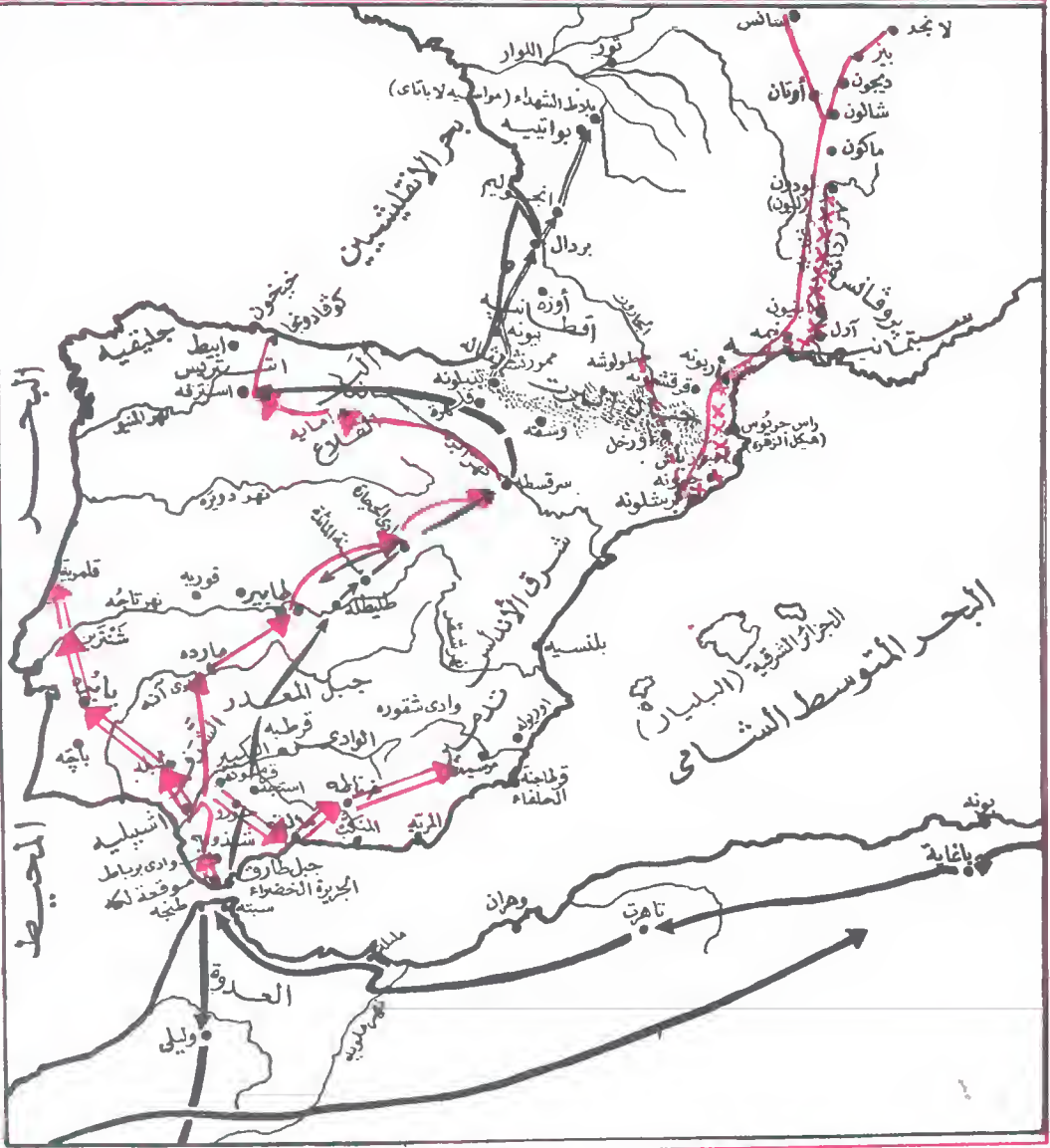
لحاصرتها من جهة البحر ، فطال الحصارُ ثلاثةَ أشهرٍ . كانت
السُّفُنُ الرُّومِيَّةُ تَمُدُّ الحاميةَ في أثائها بالمؤنِ ..
ثم سَنَحَتِ الفُرْصَةُ فاغتنمها العربُ واقتحموا المدينةَ ..
خرجتُ جماعةٌ من جنودِ عَمْرٍو يبحثونَ عن صَيْدٍ فابتعدوا
كثيراً ، واشتدَّ الحرُّ عليهم ، وهُم عائدُونَ إلى مُعسكرِهِمْ
فاضطَّروا إلى السَّيرِ على شاطئِ البحرِ . لم تَكُنِ الأسوارُ تحمى
طرابُلُسَ من ناحيةِ البحرِ ، بلْ كانتِ السُّفُنُ الرُّومِيَّةُ ترسو
بالقربِ مِنْ بُيُوتِها ، وَبَيْنَما الجنودُ العربُ يَمْرُونُ بجانبِ المدينةِ
شاهدُوا الماءَ ينحسرُ عَنْ مَوْضِعٍ يُؤدِّي إِلَيْها . فأسرعُوا إلى
دُخُولِها مِنْ ذَلِكَ المَوْضِعِ وَهُمْ يُكَبِّرُونَ ..
وسَمِعَ الجَيْشُ العَرَبِيُّ أصواتَ التَّكْبِيرِ فأقبلتْ كَتائِبُهُ
واقتحمتْ طرابُلُسَ !
وكانتْ مُفاجأةً للرُّومِ فَركِبَهُمُ الفزعُ ولاذُوا بالفرارِ في
سُفُنِهِمْ ، وَغَنِمَ العربُ كُلٌّ ماخلفوه بالمدينةِ !

هَمَّ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِاسْتِنَافِ الرَّحْفِ نَحْوَ الْمُحِيطِ
 « الْأَطْلَسِي » ، لَكِنَّهُ عَادَ فَقَدَّرَ خُطُورَةَ الْإِيتِعَادِ عَنْ مِصْرَ ..
 وَعَنْ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرِيبَةِ .. فَكَتَبَ إِلَى الْخَلِيفَةِ « عُمَرُ بْنُ
 الْخَطَّابِ » يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْأَمْرِ ..

وَرَأَى الْخَلِيفَةُ أَنَّ الرُّومَ وَطَوَائِفَ الْبَرَبِرِ الْمُؤَالِيَةِ لَهُمْ لَنْ يَلْبَثُوا
 أَنْ يَجْمَعُوا جُمُوعَهُمْ لِمُهَاجِمَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَشْفَقَ عَلَى
 الْمُجَاهِدِينَ مِنْ عَاقِبَةِ الْقِتَالِ بِأَرْضٍ تَبْعُدُ عَنْ مَوَاطِنِ الْمَدَدِ
 آلَافَ الْكِلْوَ مِثْرَاتٍ .. وَأَرْسَلَ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بِأَمْرِهِ أَنْ
 يَكْتَفِيَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ إِفْرِيقِيَّةٍ ..

وَقَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى مِصْرَ عَقَدَ لِقَاءَ الْإِمَارَةِ
 عَلَى بَرْقَةِ لَابْنِ خَالَتِهِ « عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ » ، وَكَانَ قَدْ أَبْلَى بِلَاءً
 حَسَنًا فِي فَتْحِ بَرْقَةٍ وَفِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ بَيْنَ الْبَرَبِرِ . وَمَضَتْ الْأَيَّامُ
 وَعُقْبَةُ يَبْذُلُ جُهْدًا مُخْلِصًا فِي ضَمِّ الْمَزِيدِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ إِلَى
 الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ الْجَدِيدِ ، فَيَرْحَلُ إِلَيْهِمْ فِي وَاحَاتِهِمْ وَيَتَلَوُّ

فتوح المغرب الأقصى والأندلس



- حملة (السمح بن مالك) (٧٢١)
- xxx الغزوات الأولى في غالة (حوالي ٧١٤)
- خط سير فتوح موسى بن نصير
- فتوح عبد العزيز بن موسى
- حملة عنبسة بن سحيم على غالة (٧٢١)

- حلة عقة الكبرى
- خط سير طارق بن زياد
- ⇒ غزوة عبد الرحمن النافقي في غالة

عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ .. وَيُعَلِّمُهُمُ شَعَائِرَ الدِّينِ .. حَتَّى أَحَبَّهُ
النَّاسُ جَمِيعًا فِي إِقْلِيمٍ بَرَقَ وَأَطَاعُوهُ ..
ثُمَّ وَقَعَتِ الْجُرَيْمَةُ الشَّنِيعَةُ الَّتِي اهْتَزَّتْهَا الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ ..
قُتِلَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِخَنْجَرٍ مَسْمُومٍ طَعَنَهُ بِهِ
« أَبُو لَوْلَاةُ الْمَجُوسِي » ، عَامَ ٦٤٤ الْمِيلَادِي ..

وَالْمَجُوسُ هُمْ عَبَادُ النَّارِ !
وَانْتَهَزَ الرُّومَانُ الْفُرْصَةَ فَتَسَلَّلُوا عَائِدِينَ إِلَى طَرَابُلُسَ ،
وَأَشَاعُوا الْفِتْنَةَ بَيْنَ أَهْلِهَا الْبَرْبَرِ ، وَحَرَّضُوهُمْ عَلَى الْغَدْرِ
بِالْمُسْلِمِينَ . أَرَادُوا أَنْ يَسْتَدْرِجُوا عُقْبَةَ وَجُنُودَهُ إِلَى مَعْرَكَةٍ
يُحَدِّدُونَ هُمْ مَكَانَهَا وَزَمَانَهَا ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ
مَذْهُولُونَ مِنْ هَوْلٍ مَا أَصَابَ الْخَلِيفَةَ الْفَارُوقَ ..

لَكِنَّ عُقْبَةَ لَمْ يَقَعْ فِي شَرَكِهِمْ !
سَاءَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ الرُّومُ طَرَابُلُسَ الَّتِي لَمْ يُقِمَّ بِهَا الْمُسْلِمُونَ
لِيُعْذِبَهَا الشَّدِيدَ عَنْ بَرَقَةٍ ، لَكِنَّهُ تَبَيَّنَ بِحُكْمَتِهِ أَنَّ الْمَوْقِفَ يُحْتَمُّ
عَلَيْهِ الصَّبْرُ عَلَى مَا يَكْرَهُ .. وَالْإِنْتِظَارَ حَتَّى تَسْتَقِرَّ الْأُمُورُ فِي
الْمَدِينَةِ عَاصِمَةِ الْإِسْلَامِ ..

تَوَلَّى الخِلاَفَةَ «عُمَانُ بْنُ عَفَّانَ» فَبَعَثَ «عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ»
وَالْيَا عَلَى مِصْرَ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ أُذِنَ لَهُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى الْمَغْرِبِ
وَأَمَدَهُ بِجَيْشٍ فِي مُقَدِّمَتِهِ عِدَّةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَبْنَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ
مِنْ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ ..

وَبَلَغَ النَّبَأُ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ فَخَرَجَ مَعَ رِجَالِهِ مِنْ عَرَبٍ وَبَرِيرٍ
يُرْحَبُونَ بِجَيْشِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ ، وَيُقَدِّمُونَ لَجُنُودِهِ الْمَاءَ
وَالطَّعَامَ .. فَلَمَّا اسْتَرَاخَ الْمُجَاهِدُونَ وَشَرَعُوا فِي الزَّحْفِ كَانَ
عُقْبَةُ وَرِجَالُهُ فِي طَلِيعَتِهِمْ ..

وَالَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ «تُونِسَ» دَارَ الْقِتَالِ ، عِنْدَ
مَدِينَةِ «سَبَيْطَلَةَ» حَيْثُ تَجَمَّعَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنَ الرُّومِ عَلَى
رَأْسِهِمْ «جَرِيْجُورُ» ، قَائِدُ الرُّومِ فِي إِفْرِيقِيَّةَ ..

وَاتَّصَلَتِ الْمَعَارِكُ ، يَهْجُمُ الرُّومُ وَأَعْوَانُهُمْ مِنَ الْبَرْبَرِ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ ، فَنُتِبَتْ هَؤُلَاءِ وَيَصُدُّونَهُمْ .. ثُمَّ يَهْجُمُونَ بِدَوْرِهِمْ



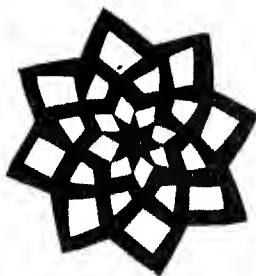
فَلَبَجَأَ الرُّومَ إِلَى حِصْنٍ لَهُمْ . وَازْدَادَ قَلَقُ الْخَلِيفَةِ - فِي الْمَدِينَةِ -
لَا نَقْطَاعَ أَخْبَارِ الْمُجَاهِدِينَ فِي الْمَغْرِبِ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَدَدًا عَلَى
الْخُيُولِ وَالْإِبِلِ السَّرِيعَةِ يَقُودُهُ « عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ » ..
وَبِالْقُرْبِ مِنْ « سَيْطَلَةَ » وَقَفَ « جَرِيحُورٌ » يُحْمَسُ جُنُودَهُ
قَائِلًا :

- مَنْ يَقْتُلُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ أَهَبَ لَهُ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَأَزْوَجَهُ
ابْنَتِي !

فَرَدَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ يَقُولُ لَجُنُودِهِ :
- مَنْ يَقْتُلُ « جَرِيحُورَ » أُعْطِيَ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَأَزْوَجَهُ
ابْنَتَهُ !!

وَقَبْلَ أَنْ يَتَجَدَّدَ الْقِتَالُ أَشَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بِأَنْ تَتَخَلَّفَ
فِرْقَةٌ مِنْ فُرْسَانِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَشْتَرِكُ فِي الْمَعْرَكَةِ ، حَتَّى إِذَا
مَا حُلَّ التَّعَبُ بِالْأَعْدَاءِ وَتَرَا جَعُوا لِيَسْتَرِيحُوا هَجَمَ عَلَيْهِمْ فُرْسَانُ
الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَرِيحُونَ . وَنَفَّذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ مَا أَشَارَ بِهِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَتَمَكَّنَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَقَتَلُوا
وَأَسْرَوْا مِنْهُمْ عَدَدًا كَبِيرًا ..

وَقَتَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَائِدَهُمْ « جَرِيحُور » !
 وَطَلَبَ الرُّومُ فِي إِفْرِيقِيَّةِ الصُّلْحَ ، وَقَدَّمُوا لِلْمُسْلِمِينَ
 ثَلَاثِمِائَةَ قِنْطَارٍ مِنَ الذَّهَبِ !
 وَطَبَقًا لَشُرُوطِ الصُّلْحِ عَادَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ إِلَى مِصْرَ ، بَعْدَ
 أَنْ أَقَامَ عَلَى سُبُطِلَّةَ وَالْيَا مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ . أَمَّا عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ فَقَدْ
 بَقِيَ فِي « بَرْقَةَ » يُوطِدُ دَعَائِمَ الْإِسْلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ ، وَيَرْجُو أَنْ
 يَهْبِ الْمُسْلِمُونَ سَرِيعًا لِيَتِمُّوا فَتْحَ الْمَغْرِبِ ..



مَضَتْ سَنَوَاتٌ ، ثُمَّ آتَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى « مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ » وَانْتَقَلَتْ عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى دِمَشْقَ ..
 وَجَاءَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْيَا عَلَى مِصْرَ ثَانِيَةً ، فَوَجَّهَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ إِلَى فَتْحِ إِفْرِيقِيَّةَ مِنْ جَدِيدٍ .. بَعْدَ أَنْ ارْتَدَّ قَسْمٌ كَبِيرٌ مِنَ الْبَرْبَرِ خَارِجَ بَرْقَةِ عَنِ الْإِسْلَامِ . وَبَيْنَمَا الْبَطْلُ الْعَرَبِيُّ يُقَاتِلُ الرُّومَ وَأَعْوَانَهُمْ مِنَ الْبَرْبَرِ وَيَتَقَدَّمُ إِلَى الْغَرْبِ تُوفِّيَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، وَتَوَلَّى « مُعَاوِيَةُ بْنُ حُذَيْفٍ » حُكْمَ مِصْرَ وَقِيَادَةَ الْمُجَاهِدِينَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ ..

اِسْتَاءَ رِجَالُ عُقْبَةَ مِنْ عَرَبٍ وَبَرْبَرٍ لَانْتِقَالِ الْقِيَادَةِ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِمْ الَّذِي عَرَفُوهُ وَعَرَفُوا خِبْرَتَهُ فِي قِتَالِ الرُّومِ وَنَجَاحِهِ فِي اجْتِنَابِ الْبَرْبَرِ إِلَى الْإِسْلَامِ . غَيْرَ أَنَّ عُقْبَةَ ضَرَبَ لَهُمُ الْمَثَلَ فِي إِنْكَارِ الذَّاتِ ، وَالطَّاعَةِ ، مِنْ أَجْلِ الصَّالِحِ الْعَامِّ وَوَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ .. فَسَارَ تَحْتَ لَوَاءِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْفٍ حَتَّى فُتِحَتْ « بَنْزَرَت » ..

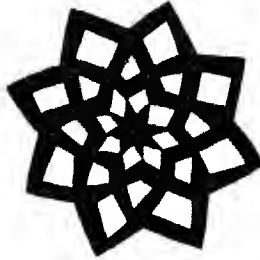
وبعدَ حينٍ عادَ مُعاويةُ بْنُ حُديجٍ إلى مِصرَ ، وتركَ عُقبَةَ في
برقةٍ ينتظرُ ما يأمرُ به الخليفة . ولم يَطُلِ انتظارُهُ ، فقد صدرتْ
أوامِرُ الخليفةِ بأن يتولَّى عُقبَةُ قيادةَ المُسلمينَ في إفريقيَّة ..
وأمدَّهُ بعشرةِ آلافِ فارسٍ يستعينُ بِهِمْ على قتالِ الرُّومِ .
وسُرَّعَانَ ما انطلقَ عُقبَةُ يقودُ المُسلمينَ نحوَ الغربِ ، ويلقُّنُ
الرُّومانَ في كُلِّ مَوْقِعَةٍ أنَّ الإيمانَ أقوى مِنَ الجيوشِ الجَرَّارَةِ
والأسلحةِ الفتَّاكةِ .. ويكتسِبُ محبةَ البربرِ بتقواه وزهديه
وتواضعِهِ ..

تتابعتِ انتصاراتُ عُقبَةَ وجُنودِهِ ، غيرَ أَنَّهُ تَنَبَّهَ بعدَ حينٍ إلى
أنَّ الاعتمادَ على النِّجَداتِ القادمةِ من مِصرَ .. أو الشامِ .. لن
يُمكنَ المُسلمينَ من إتمامِ الفتحِ والاستقرارِ في المغربِ ..
فالمسافةُ بَيْنَ مِصرَ والمغربِ بَعِيدَةٌ .. والشَّامُ أَكْثَرُ بُعْدًا ..
أدركَ عُقبَةُ أنَّ المُسلمينَ لن ينجحُوا في إقامةِ المجتمعِ
الإسلاميِّ الآمنِ في إفريقيَّةِ الشَّمالِيةِ ما لَمْ يُوسِّسُوا لَهُمْ عاصمةً في
المغربِ ، يستجمعُونَ بها قُوَّتَهُمْ ويستكملُونَ عُدَّتَهُمْ ..
وعرضَ عُقبَةُ وجهةَ نظريهِ على الخليفةِ فأقرَّها ، وأرسلَ

قُوَاتٍ عَرَبِيَّةً حَاصِرَتِ « الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ » عَاصِمَةَ الرُّومِ ..
لِتَشْغَلَهُمْ عَنِ إِفْرِيقِيَّةَ حَتَّى يَفْرُغَ عُقْبَةُ لِبْنَاءِ الْعَاصِمَةِ الْجَدِيدَةِ
بِهَا ..

اخْتَارَ عُقْبَةُ مَكَانًا يَكْشِفُ الرُّومَ إِذَا أَقْبَلُوا بِسُفْنِهِمْ بِحَرًّا ..
أَوْزَحَفُوا بِقُوَّاتِهِمْ بَرًّا ، وَقَالُوا لِرَجَالِهِ :
- هُنَا « قَيْرَوَانُكُمْ » ..

يَقْصِدُ الْمَكَانَ الَّذِي يُقِيمُونَ بِهِ مُطَمِّئِينَ .
وَاسْتَغْرَقَ بِنَاءُ « الْقَيْرَوَانِ » خَمْسَ سَنَوَاتٍ ، وَمَا خَمْسُ
سَنَوَاتٍ بِزَمَنِ طَوِيلٍ فِي عُمْرِ الشُّعُوبِ !



أَتَمَّ عُقْبَةُ بِنَاءَ الْقَيَّوَانِ وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لَاسْتِثْنَاءِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكِنَّ الْأُمُورَ جَرَتْ عَلَى غَيْرِ مَا يَوْذُ وَيَتَخَيُّ ..
 تَوَلَّى الْأَمْرَ فِي إِفْرِيقِيَّةَ قَائِدٌ آخَرُ اسْمُهُ « أَبُو الْمُهَاجِرِ دِينَارٌ »
 أَبْعَدَ عُقْبَةَ عَنْ مَسْئُولِيَّةِ الْفَتْحِ سِنَوَاتٍ تُوفِّيَ فِي أَثْنَائِهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَخَلَفَهُ ابْنُهُ « يَزِيدٌ » ، وَكَانَ الرُّومُ وَحُلَفَاؤُهُمْ مِنَ الْبَرَبِرِ قَدْ تَنَبَّهُوا لِأَهْمِيَّةِ الْقَيَّوَانِ وَأَثَرِهَا فِي الصَّرَاعِ الدَّائِرِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَظَاهَرَ زَعِيمٌ مِنَ الْبَرَبِرِ يَدَّعَى الْإِسْلَامَ ..
 اسْمُهُ « كَسِيلَةُ » .. بَآنَهُ مُحِبُّ لَأَبِي الْمُهَاجِرِ .. وَأَغْرَاهُ بِتَرْكِ الْقَيَّوَانِ وَالْإِقَامَةِ بِمَدِينَةٍ جَدِيدَةٍ أَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمَ « تَكْرُوَانِ » ! .

كَانَ عُقْبَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُقِيمُ بِدِمَشْقَ ، فَاسْتَجَدَّ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ مُوضِّحًا لَهُ خَطُورَةَ مَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْأَعْدَاءُ ..
 فَرَدَّهُ يَزِيدُ إِلَى إِفْرِيقِيَّةَ مُعَزِّزًا مُكْرَمًا لِيَصِلَ مَا انْقَطَعَ مِنْ جِهَادِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُزْزِقُونَ

جاء عَقبَةُ إلى إفريقيَّة فأبطلَ تديرَ كَسِيلَةَ وأعادَ المُسلمينَ
 إلى القيروانَ ، ثم انطلقَ يَشُقُّ طريقَهُ إلى المغرب ..
 فتحَ « تَاهَرْت » ، ومنها سارَ إلى « طَنْجَة » .. فإذا أميرُها
 يستقبلُهُ مَرَحَبًا ويطلبُ الصُّلحَ !
 لم يَرُكُنْ عَقبَةُ لِلرَّاحَةِ ، بل أَسْرَعَ يندفعُ نحوَ المحيطِ
 الأطلسيِّ حتى اقتحمَ مِيَاهَهُ بفرسِهِ ، وهناك وقفَ ينظرُ إلى الأفقِ
 ويتمنَّى لو كانَ قادِرًا على خَوْضِ الأمواجِ لِيُعْلَى كَلِمَةَ الحقِّ
 ويُخْرِسَ كُلَّ صَوْتٍ للباطلِ . ثم استدارَ عائِدًا إلى ما فتحَ من
 بلادِ المغربِ ، يُنظِّمُ أمُورَها ويُقيمُ المساجِدَ بِها ..
 غيرَ أنَّ كَسِيلَةَ استطاعَ أن يَفِرَّ إلى قَوْمِهِ بِمِنْطَقَةِ الجبالِ ،
 وأعلنَ ارتدادَهُ عنِ الإسلامِ وراحَ يُحْطِطُ للانتقامِ مِنَ البطلِ
 العربيِّ . أعدَّ له كمينًا في طريقِ ضَيْقٍ بالقُرْبِ من « تهودة »
 وحشدَ لَهُ بِهِ آلافَ البربرِ المُتَعَصِّبينَ ، ولم يَكُنْ معَ عَقبَةَ سِوَى
 فرقةٍ قليلةٍ العددِ ، إلا أَنَّهُ قاتَلَ قتالَ الأبطالِ .. وقاتَلَ بجانيهِ
 أبو المُهاجرِ دينارُ الذي كانَ يَصْحَبُهُ .. إلى أنِ اسْتُشْهِدَا ..
 واستشهدَ في تلكَ المعركةِ كُلُّ مَنْ حَضَرَها مِنَ المسلمينَ !

غَدَرَ كَسِيلَةٌ بِالْمُسْلِمِينَ ، وَطَعَى وَتَجَبَّرَ .. لَكِنَّهُ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ
قُتِلَ بِسَيْفِ الْقَائِدِ الْعَرَبِيِّ « زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ » فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ
« عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ » .

وَبَعْدَ كَسِيلَةٍ تَجَمَّعَ أَعْدَاءُ اللَّهِ مِنْ رُومٍ وَبَربرٍ وَحَاولُوا أَنْ
يَقْضُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ امْرَأَةٍ اشْتَهَرَتْ بِأَعْمَالِ السَّحَرِ اسْمُهَا
« الْكَاهِنَةُ » ، فَقَضَى عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهَا بَطْلٌ عَرَبِيٌّ آخَرٌ هُوَ
« حَسَّانُ بْنُ النُّعْمَانِ » ..

وَأَخِيرًا تَمَّ تَحْرِيرُ الْمَغْرِبِ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ الْعَرَبِيِّ « مُوسَى بْنِ
نُصَيْرٍ » عَامَ ٨٩ هِجْرِيٍّ ، فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ « الْوَلِيدِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ » .. وَفِي الْمَغْرِبِ عَبَّرَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ الْبَحْرَ
الْمَتَوَسِّطَ لِتُزْفِرَ عَلَى رُبُوعِ « إِسْبَانِيَا » !

أبيات الإسلام

- ١ - في اليمامة
- ٢ - في اليرموك
- ٣ - في القادسية
- ٤ - في عين شمس
- ٥ - في نهاوند
- ٦ - في ذات الصواري
- ٧ - في المغرب
- ٨ - في الأندلس
- ٩ - في حطين
- ١٠ - في المنصورة
- ١١ - في عين جالوت



دارالمعارف

ح

١٠٠٠

١٠٠/١١١١١

P
097
1